اعمال الامراء الامويين لتثبيت السلطة والاستقرار :-

ابتدأ عهد الامارة بتولي عبد الرحمن للحكم في بلاد الاندلس وبدأ عبد الرحمن حكمه بالخطبة والدعاء للعباسيين لكنه مالبث ان قطع الدعاء لهم . ولكنه لم يلقب نفسه بلقب (بلقب خليفة) واكتفى بأن اضاف الى اسمه لقب (ابن الخلائف) ويعود االسبب في ذلك الى ان عبد الرحمن وخلفاءه كانوا يشعرون ان الخلافة واحدة لاتتعدد وان الخليفة هو الذي يملك الحجاز والشام والعراق ويلقب بـ (امير المؤمنين) وقد لقب عبد الرحمن بلقب (امام) وهو لقب ديني ولم يكن لقباً رسمياً . واستمر خلفاء عبد الرحمن على هذا الحال حتى مجيئ (عبد الرحمن الناصر) الذي تلقب بلقب خليفة بعد اعلانه للخلافة الاموية في الاندلس سنة (٣١٦هـ -٩٢٩م) .

نقل عبد الرحمن صفة الخليفة الوراثي الى الاندلس وقد صاحب هذه العملية بعض المشاكل لكنها لم تضاهي ماكان يحدث في المشرق . ويبدو ان عبد الرحمن فشل في ايجاد نظام بديل لولاية العهد وقد نشب الصراع بين ولدي عبد الرحمن هشام وسليمان بعد وفاة ابيهما على السلطة الا ان هشام استطاع ان يستأثر بالحكم .ونفى كلاً من اخويه سليمان وعبد الله البلنسي – وعبدالله البلنسي هذا هو الذي ايد سليمان في ثورته على هشام – الى المغرب الا ان المشكلة تجددت بعد وفاة هشام وتولي ولده (الحكم) الامارة حيث عاد عماه يطالبان بالسلطة ولكنهما فشلا هذه المرة ايضاً فقتل سليمان وعقد عبدالله الصلح مع الحكم وحددت اقامته في مدينة (بلنسية) بعد ذلك استمر نظام ولاية العهد في الاندلس في عصر الامارة دون مشاكل .

اولاً :- انجازات الامراء الامويين على الصعيد الداخلي :-

١- محاولة تغيير مفهوم الحكم واحلال سلطة الدولة محل سلطة القبيلة : كانت السلطة في عهد الولاة قبلية برغم وجود والي للبلاد وقد حاول كل زعيم قبيلة ان ينال اكبر قدر من الامتيازات له ولقبيلته . كما ان بعض القبائل التي كانت تنفرد بالسلطة تنكل بغيرها من القبائل . ولذلك فقد كانت سياسة عبد الرحمن تصب في ثلاثة اتجاهات :-

١- السيطرة القوية على البلاد .

٢-التقليل من نفوذ رجال القبائل .

٣- احلال سلطة الدولة محل سلطة القبيلة .

وبماان الدولة كانت فوق سلطة القبيلة ومنازعاتها فقد وقف عبد الرحمن موقفاً حازماً من اولئك الذين حاولوا اثارة الفوضى او الانتقام من المهزومين في معركة المصارة على الرغم من انهم كانوا من اتباعه ومؤيديه هذا ماجعلهم يدبرون لخلعه بعد الساعات الاولى من انتصاره . هذا ماجعل عبد الرحمن يحقق سلسلة من الاجراءات اهمها :-

١- تأ سيس جهاز للشرطة

٢- اسناد بعض المناصب الحساسة الى اقرباءه ومواليه .

٣- استرضاء قادة القبائل وبشكل خاص اليمنيين ولكن عبد الرحمن كان يخطط للتخلص نهائياً من نفوذ هؤلاء الزعماء ومن اجل تحقيق هذا الهدف كان عليه ايجاد قوة تحل محل قوة رجال القبائل العرب فأتجه الى تشجيع البربر للاختلاط في جيشه فأصبحوا قوة اساسية بالاضافة الى ذلك اشترى الكثير من العبيد . وكان من جملة المماليك الذي اشتراهم عبد الرحمن سودانيون هكذا تعددت الاصول في جيش الاندلس ولم يعد الامير يعتمد على العنصر العربي فقط . على الرغم من ذلك ظل الجند العربي قوة اساسية في الاندلس وكان يتألف من فئتين رئسيتين (الشاميين والبلديين) ولكل منهما نظام دقيق في العطاء وقد حاول عبد الرحمن ان يستفيد من هذا الجند فثبت من بقي على ولائه له لكنه الغى ديوان من ثاروا عليه واسقط لواء جندهم .

٢- محاولة الحفاظ على وحدة الامة الروحية :-

اعتنق اهل الاندلس في الفترة الاولى مذهب الامام (عبد الرحمن الاوزاعي) وذلك لان :-

١- الحياة الدينية في الاندلس في تلك الفترة كانت مثأثرة ببلاد الشام .

٢- ولأن هذا المذهب كان يناسب وضع اهل الاندلس في الفترة الاولى فقد ركز المذهب على التشريعات الحربية واحكام الحرب والجهاد حيث كان قائم على هذه الامور .

ولكن الاندلسيين اعتنقوا فيما بعد مذهب الامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ -٧٩٥م) وذلك منذ ايام (هشام بن عبد الرحمن) وقد وصل هذا المذهب الى الاندلس بفضل جهود بعض الفقهاء ورجال العلم الذين كانوا يرحلون الى الحج وهناك يلتقون بالامام مالك ويأخذون عنه مذهبه وعندما يعودون الى الاندلس وكان رائد هذه الجماعة هو (زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بـ (شبطون) الذي كان فقيه الاندلس على مذهب مالك .

على الصعيد الرسمي فقد استهوى مذهب الامام مالك الاميرهشام بن عبد الرحمن الذي نقل له الاندلسيين اعجاب الامام مالك به ومدحه له . الا ان مجموعة من الاسباب السياسية والاجتماعية والنفسية التي ساعدت على انتشار مذهب مالك غير الاعجاب المتبادل بين الامام والامير هشام يمكن اجمالها بما يلي :-

١- كان الامام مالك لايميل الى العباسيين – التي كان مذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي – حتى انه افتى لصالح محمد ذو النفس الزكية وقد ادت فتواه هذه الى غضب والي المدينة الذي ضربه بالسياط . وهذا العداء للعباسيين جمع الامام مالك وبين الامير الاموي هشام فاعتناق الاندلسيين واميرهم لذلك المذهب يحمل بعداً سياسياً ويحقق لهم النزعة الاستقلالية ويؤكد شخصيتهم المتميزة

٢- كان لطبيعة اهل الاندلس اثر في تقبلهم لمذهب مالك ذلك ان طبيعتهم تميل الى البساطة والبعد عن التعقيد وهي لهذا تشبه طبيعة اهل الحجاز الذين تغلب عليهم نزعة اهل الحديث والاعتماد على مذهب مالك الذي يتقيد بالنصوص (القرآن والحديث) ولايلجأ الى الرأي والقياس الا في حدود ضيقة على العكس من البيئة العراقية التي تتميز بالتعقيد وتتعدد فيها الاجناس والملل وتحتاج مشاكلها الى الاجتهاد والاستنتاج وهذه هي الاسس التي يقوم عليها المذهب الحنفي . ولذلك نرى ان الاندلسيين اعتنقوا في البداية مذهب الاوزاعي وهو ايضاً من انصار مدرسة الحديث ثم اعتنقوا مذهب مالك فيما بعد .

٣- هناك عامل آخر ربط الاندلسيين بأهل الحجاز اكثر من ارتباطهم بالعراقيين هو ان معظم العرب الفاتحين للاندلس كانوا من اصل حجازي خاصة جيش موسى بن نصير الا الذين دخلوا مع بلج فهم من بلاد الشام ومصر ولم يكن بينهم من ينتمي الى اهل العراق .

كان من اهم النتائج التي حققتها سياسة المذهب الواحد في الاندلس هو :

١- اشاعة نوع من الاستقرار في البلاد لان هذه السياسة جنبت الثغور الاسلامية ورجال القبائل شرور الفتن المذهبية . وحفظت لها سلامتها ووحدتها واستقرارها الروحي .

٢- ولقد اثرت سياسة المذهب الواحد التي اتخذها الاندلسيون على على الممالك المسيحية المجاورة لهم اذ اتبعوا نفس السياسة وتعصبوا للمذهب الكاثوليكي دون غيره من المذاهب الاخرى .

٣-القضاء على الثورات والفتن الداخلية :

تعرض عصر الامارة الى العديد من الثورات الداخلية التي اشترك فيها مختلف عناصر المجتمع الاندلسي الجديد من الفاتحين العرب والبربر او سكان البلاد الاصليون كالمولدين و المستعربين اذ لم تندمج هذه الاجناس بعضاً ببعض ولذلك فان استقرار الامور كان يتوقف على مدى قوة وصلابة الحكومة المركزية في قرطبة . ولقد كانت من الامور التي

ساعدت الفئات المتمردة على الثورة والانشقاق هي طبيعة البلاد الجغرافية الجبلية . ويمكننا تقسيم الفتن والثورات الى قسمين :-

١- الفتن والثورات التي حدثت في عهد الامراء الاقوياء الاوائل .

٢- الفتن والثورات التي حدثت اواخر عصر الامارة أي الحقبة التي تميزت بضعف سلطة الحكومة التي امتدت من وفاة الامير عبد الرحمن الثاني (الاوسط) (٢٣٨هـ -٨٥٢ م) الى سنة (٣٠٠هـ -٩١٢م) أي الى عهد الامير عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله الذي اعلنت في عهده الخلافة

١- ثورات القبائل العربية في عهد عبد الرحمن الاول :

كان من اهم اسباب هذه الثورات :-

١- السياسة التي اتبعها عبد الرحمن الاول والتي تهدف الى السيطرة القوية على البلاد والحد من نفوذ رجال القبائل العربية بالتقليل من الاعتماد عليهم وخلق قوة جديدة تعتمد على المماليك والبربر.

٢- ان مجيئ عبد الرحمن الى الحكم لم يحقق لزعماء القبائل ما كانوا يصبون اليه من السلطان والامتيازات وانه استخدمهم كأداة لتحقيق اهدافه ومن ثم عاملهم معاملة الاتباع الذي عليهم حق الطاعة فقط . وهذا ماجعلهم يدبرون لخلعة بعد انتصاره في معركة المصارة مباشرة (كما بينا سابقاً)

(أ) اول من رفع راية العصيان من الزعماء اليمنيين هو العلاء بن مغيث الجذامي رئيس جند مصر في باجة جنوب البرتغال الحالية سنة ١٤٦هـ - ٧٦٣م وتروي المصادر العربية ان الخليفة ابو جعفر المنصور كان المحرض على هذا العصيان بل انه وعد العلاء بأمارة الاندلس ان هو تمكن من الانتصار على عبد الرحمن . لايمكن الركون الى هذه الروايات لان الخلافة العباسية لم تكن مستعدة لذلك والخليفة ابو جعفر انذاك كان مشغول بالمشاكل التي تواجهه في المشرق العربي يضاف الى ذلك ان العباسيين لم يكونوا مسيطرين حتى ذلك الحين على المغرب كانت سلطتهم مهزوزة في افريقيا فكيف يفكرون بالاستيلاء على الاندلس البعيدة . الا انه يمكن ان يكون العلاء قد دعى الى الخلافة العباسية من تلقاء نفسه تقوية للحركة واظهاراً لقدسيتها ولجمع اكبر عددمن المؤيدين وبالطبع فأن الخليفة العباسي كان يظهر الرضى عمن يدعوا بأسمه بالاندلس او بغيرها . مهما يكن من امر فقد استطاع عبد الرحمن ان يقضي على هذه الثورة بعد ان حاصر الثوار في مدينة قرمونة لمدة شهرين ولم يستطع الانتصار عليهم الابصعوبة فقتل منهم عدداً كبيراً وكان من بينهم العلاء نفسه .

(ب) بعد ٣ سنوات من ثورة العلاء ثار زعيم عربي آخر يُدعى سعيد اليحصبي المطري في نبله انتقاماً لدماء الذين قُتلوا مع العلاء حيث استولى سعيد على اشبيلية وتحصن باحدى القلاع فسار اليه عبد الرحمن وقضى على حركته وقد قتل قائد الثورة والعديد من اتباعه .

(ج) وفي نفس العام الذى ثار فيه سعيد وهو عام (١٤٩هـ -٧٦٦م) ثار ابو الصباح اليحصبي والي اشبيلية الذي ولاه عبد الرحمن عليها على الرغم من شكه في ولائه له منذ دعوته للاطاحة به بعد انتهاء معركة المصارة ولهذا فقد عزله عبد الرحمن بعد ثورة سعيد فنقم عليه ابو الصباح والب عليه الاجناد الا ان عبد الرحمن استطاع ان يتغلب عليه بالحيلة فحاول التفاوض معه واستدراجه الى قرطبة حيث قتله فتفرق جنده .

كان لمقتل ابي الصباح اثر في اشعال ثورة القبائل اليمنية في غرب الاندلس اذ كان ابو الصباح سيد عرب هذه المناطق ذلك عام (١٥٦هـ - ٧٧٢م) حيث ثاروا في اشبيلية ولبلة وباجة بقيادة (حيوة بن ملامس الحضرمي) وآخرون من زعماء تلك القبائل كما انضم لهم العديد من البربر المؤيدين لليمنيين وقد استطاع عبد الرحمن القضاء على عهذه بأسلوب التفريق بين اليمنيين والبربر مستعيناً بمواليه من البربر فأقنع هؤلاء بني جلدتهم من البربر بالتخلي عن زعماء الثورة والانضمام الى عبدالرحمن ووعدهم بالعطاء هكذا تخلى البربر عن حلفائهم اليمنيين في المعركة بين الطرفين فهزم الثوار وقتل معظم قادتهم .

٢- ثورات البربر :

بالاضافة لمشاركة البربر في معظم الثورات التي قامت بها القبائل العربية في الاندلس كانت لهم حركاتهم الخاصة بهم وان اهم عوامل تمردهم هي :

١- الكثير منهم كانوا حلفاء للقبائل العربية وتربطهم مصالح مشتركة فيثورون معهم تبعاً لذلك .

٢- كانوا منذ فترة الفتح وعصر الولاة متذمرين من اوضاعهم ويميلون الى الشغب والتمرد . وهناك عوامل اخرى دفعت البربر الى الثورة .

(أ) كأستغلال احد زعمائهم وهو المدعو (شقيا بن عبد الواحد المكناسي) لهم وادعاؤه بأنه من ولد الامام الحسن بن علي فأتخذ له اسماً عربياً هو (عبدالله بن محمد) ودعاهم للثورة ، كانت ثورته في شرق الاندلس في (شنتبريه) ثم امتدت الى اقاليم عديدة في وسط وشمال اسبانيا وعربها .

قامت هذه الحركة في عهد عبد الرحمن الاول واستمرت (١٠) سنوات من عام (١٥١-١٦٠هـ /٧٦٨-٧٧٧م) ولقد واجه عبد الرحمن صعوبة كبيرة في اخماد هذه الثورة ذلك لاعتصام الثوار بالجبال المنيعة ولم يتمكن عبد الرحمن من القضاء عليهم الا بالتعاون مع احد زعماء البربر وهو (هلال المديوني) الذي ولاه على شنتبريه اذ حدث ان دبر هلال مؤامرة لاغتيال زعيم الحركة (شقيا المكناسي)

(ب) تمرد ابراهيم بن شجرة البرنسي وبربر نفزة . وقد استطاع عبد الرحمن ان يقضي على هذه

الثورة بسهولة

(ت) في عهد هشام بن عبد الرحمن ثار البربر في بلاد تاكرنا وهو اقليم رنده الحالية حيث عاث هؤلاء في نواحيها وقتلوا العديد من السكان وقد ارسل اليهم هشام يحذرهم ولما لم ينفع ذلك هاجمتهم قواته وقتلت العديد منهم وفر الباقون .

(ث) في عهد الحكم بن هشام قام البربر بثورة في مدينة ماردة غرب الاندلس حيث كانت هذه المنطقة بؤرة لثورات البربر بقيادة اصبغ بن عبدالله بن وانسوس واستمرت ثورته (٧) سنوات كانت اهم اسبابها انه اراد المزيد من الاستقلال في ادارة المدينة التي كان يحكمها فساءت العلاقة بينه وبين حكومة قرطبة وقد انتهت ثورته بأن طلب الامان من الامير فأمنه وعفا عنه .

(ج) في مدينة (ماردة) وفي عهد عبد الرحمن الثاني) وفي سنة (٢١٣هـ - ٨٢٨م) ثار البربر بزعامة (محمود بن عبد الجبار) وانضم اليه رجل من المولدين اسمه(سليمان بن مرتين) ولم يستطع الامير القضاء على الثورة الا بعد ان توجه بنفسه الى ماردة وحاصرهم وقد فر الثائران واستقل عبد الجبار بالحركة تساعده اخته جميلة لكنه عندما ضايقته حملات الامير فر الى جليقية ولجأ الى ملكها الفونسو الثاني لكنه بعد فترة اكتشف انه تورط وان الفونسو لايساعده الا ليحقق مكاسب سياسية على حساب الامارة الاموية فحاول العودة الا ان الفونسو اضطره للقتال فقتل واسرت اخته جميلة .

٣- حركة او هيجة الربض [١]

وهي الحركة التي قام بها الفقهاء المالكيون في عهد(الحكم بن هشام) الذي حاول ان يحد من نفوذهم وتسلطهم الذي ازداد قوة منذ عهد ابيه (هشام بن عبد الرحمن)اذ لم يكن الحكم كأبيه ميالاًلوصاية الفقهاء بالنسبة للاسباب غير المباشرة للثورة فهي :-

١- عدم ميل الامير هشام لسلطة الفقهاء ووصايتهم ولهذا فقد حاربوه بوسائل شتى اهمها تأليب العامة عليه والطعن في سلوكه الديني والاخلاقي .

٢- ان الحكم نفسه كان له دور في تأجيج هذه الفتنة بما وضعه من ضرائب جديدة وظالم على الشعب . وقد مرت هذه الحركة بدورين الاول عام (١٨٩هـ) عندما حاول الفقهاء القيام بمؤامرة لعزل الحكم الا انها اكتشفت وقبض على مدبريها وتم صلبهم وكان بينهم عدد كبير من الفقهاء .

٣- لقد ازداد سخط الفقهاء والعامة على الامير بعد هذه الحادثة . الدور الثاني يأتي بعد (١٤) سنة من وقوع الحادثة الاولى . هو السبب المباشر للفتنة كان مجرد خلاف بين احد جنود الامير (الحكم). واحد الحدادين في منطقة الربض (من المولدين) الذي قتله الجندي وهذا مأثار سكان الربض الذين تجمهروا حول قصر الامير (الحكم). وقد قضى الامير على هذه الثورة بالحيلة وسحق الثورة بقوة شديدة حتى انه امر بهدم الربض . وحرث ارضه وامر بزراعتها كما القى القبض على نحو (٣٠٠) رجل من زعماء الفتنة وصلبوا صفاً واحداً ونفي من بقي من سكان الربض الى خارج الاندلس وقد اقترن اسم الحكم بمكان الربض فسمي بـ (الحكم الربضي).

وقد كان لهذه الثورة نتائجها على الصعيدين الداخلي والخارجي : -

فعلى الصعيد الداخلي : ادى القضاء على الفتنة الى توطيد حكم الامارة الاموية والقضاء على نفوذ الفقهاء ووصايتهم وتدخلهم في الحكم .

اما على الصعيد الخارجي : فأن افواج المنفيين حطت في اماكن عديدة واثرت في سير الاحداث فيها فقد استقر فريق منهم في المغرب واقاموا في مدينة فاس في الحي المعروف بحي الاندلسيين ونقلوا معهم مظاهر الحضارة الاندلسية فيما يخص الصناعة والابنية البيضاء ذات الحدائق الداخلية هكذا سيطروا على المدينة حتى اصبحت تعرف بأسمهم (مدينة الاندلسيين) اما الفريق الاخر فقد دخلوا الى الاسكندرية وسيطروا عليها مستغلين الفوضى التي حلت من جراء الصراع بين الامين والمأمون فلما استقرت الامور للاخير ارسل احد قادته الى الاندلسيين الذين اضطروا لمصالحتة والاتفاق معه على مغادرة البلاد وعدم التوجه الى أي بقعة تابعة للخلافة العباسية فأتجهوا الى جزيرة كريت (قريطش) ونشروا فيها الاسلام وصارت كريت قاعدة بحرية اسلامية مهمة تهدد سواحل الدولة البيزنطية الا ان امر هذه الدولة انتهى بتغلب البيزنطيين عليها . فتفرق امر الاندلسيين فيها ورحل قسم منهم الى مصر وصقلية وعاد آخرون الى الاندلسيين .

٤- حركات المولدين : -

المولدون هم الجيل الذي كان نتيجة للتزاوج بين المسلمين من العرب والبربر وبين السكان الاصليين لاسبانيا بعد الفتح الاسلامي لها .

كان من اهم الاسباب التي دعت المولدين للثورة والتمرد هي : -

(أ) طموحهم الى وضع اجتماعي وسياسي افضل بمشاركة العرب بالحكم والسلطان والاستقلال نهائياً عن حكم بني امية في قرطبة . اما العامل الذي ساعد المولدين على الثورة فهو تركزهم كمجموعات كبيرة في مناطق جغرافية تساعد على الانفصال والتمرد وبشكل خاص في مناطق الثغور المتاخمة للدول المسيحية شمال اسبانيا لذلك فأن حكومة قرطبة دعمت بعض القبائل العربية في المناطق التي كثرت فيها حركات المولدين كأسرة بني تجيب في منطقة الثغر الاعلى .

ومن اهم ثورات المولدين هي ثورتهم في مدينة طليطلة التي كثر فيها عددهم واعتزازهم بمدينتهم فأصبحوا يتحينون الفرص دائماً لشق عصا الطاعة .

ثار المولدون في طليطلة بزعامة (عبيدة بن حميد) عام (١٨١هـ -٧٩٧م) وقد استطاع الحكم ان يقضي على هذه الثورة بواسطة احد المولدين وهو عمروس بن يوسف حيث نجح هذا الاخير باغراء بعض وجهاء المدينة

لاغتيال (عبيد) وبهذا خمدت الثورة الى حين ، وقد عينه الحكم والياً على المدينةً حتى يستطيع ان يطلع على اسرارهم لأنه من بني جلدتهم ،فوثقوا به ومنحوه طاعتهم واطلعوه على على اسرارهم .ولكنه وبتوجيه من الامير الحكم كان يبيت لهم خطة دموية للقضاء على مقاومتهم المستمرة . فأقنع زعماءهم بضرورة بناء قلعة حصينة بظاهر طليطلة بحجة ايواء الجند والمماليك بعيداً عنهم وعن نسائهم . فبنيت القلعة واخذ التراب اللازم لبنائها من نفس المكان فظلت فيه حفرة كبيرة واخبر الامير الحكم بأنتهاء البنيان لاتخاذ الخطوة التالية من العمل ، فسير الحكم جيشاً بقيادة ابنه عبد الرحمن بحجة مقاتلة النصارى في الشمال . وعندما وصل هذا الجيش بالقرب من طليطلة اعلن عن انسحاب العدو ، وبدأ الجيش بالتهيؤ للرجوع . لكن عمروس خرج الى الامير مع وجهاء اهل المدينة ودعوه للدخول فوافق الامير عبد الرحمن بعد تمنع . ثم اقام عمروس وليمة كبيرة للامير دعا اليها زعماء المدينة وكبار الشخصيات فيها . فحضروا الى القلعة التي احتشد فيها الجند . وقد اوهمهم عمروس انهم اذا انتهوا من طعامهم خرجوا من باب غير الباب التي دخلوا منها . ولكن احداً منهم لم يستطيع الخروج لان الجند الذين اصطفوا على طرف الحفرة قتلوا كل الداخلين دون ان يشعر بهم الباقون ، وهكذا بلغ عدد القتلى نحو سبعمائة رجل ومن المؤرخين من يبالغ حتى يجعل عددهم خمسة آلاف وثلاثمائة رجل ويدل هذا على عظم امر هذه المذبحة التي سميت بوقعة الحفرة والتي جردت المدينة من زعمائها واعيانها المتطلعين دوماً الى الثورة ولكن هذه القسوة لم تمنعطليطلة من التمرد على الامراء الامويين الالفترة قصيرة فسرعان ما واصلت الثورة ثانية ثانية في عهد الحكم وفي عهد خلفائه من بني امية . ثم اتخذت ثورات المولدين بعداً ا خطر حين تولى السلطة امراء ضعاف فظهرت بوادر التفكك والتجزء والحركات الانفصالية مثل حركة عمرو بن حفصون ، كم سنرى فيما بعد

٥- حركات المستعربين :-

لم يقم المستعربون بحركات عنف وتمرد على الدولة الاموية في الاندلس على نطاق واسع ، ولكن بعضهم شارك في فتن المولدين التي كانت تقوم في المناطق المختلفة من البلاد . ومع هذا ، فقد حاول بعض المستعربين المتطرفين في قرطبة اثارة فتنة هوجاء ضد الحكم العربي الاسلامي في الاندلس وكان ابطال هذه الحركة جماعة من غلاة رجال الدين المتعصبين الذين نقموا على سيادة العرب والاسلام في البلاد. والواقع ان دوافع هؤلاء لم تكن لها علاقة بأي اضطهاد ديني للمسيحيين ، لان التسامح الديني كان سائداً في الاندلس ، وبشكل خاص في عهد الامير عبد الرحمن الثاني الذي حدثت في عهده هذه الحركة . فكانت حرية المعتقد مضمونة ، وعاش رجال الدين المسيحي من اساقفة ورهبان في امن وسلام ولايتعرض لهم حكام المسلمين بسوء . وكان المستعربون بشكل خاص قد تحسنت حالتهم الاجتماعية والاقتصادية الى حد كبير بل ان عدداً كبيراً منهم استطاع ان ينال مراتب عالية في الادارة والجيش . وامتهن الباقون التجارة في المدن والثغور ، وكما عملوا في مزارعهم الخاصة او في ضياع المسلمين دون اكراه او استغلال .

ولكن هذه الحالة الفريدة من التسامح التي رضي ورحب بها غالبية المستعربين ، لم تلق التأييد من جانب القساوسة المتعصبين في الكنائس والاديرة الذين ظلوا قابعين في اماكنهم بعيدين عن التطور الذي حل بجماعتهم . ذلك التطور والاندماج الذي ادى الى تكلم المستعربين بلغة الفاتحين العرب ، وتفننهم في استخدام الفصحى وقول الشعر ، وقراءة امهات كتب الادب . بل ان الكثير من المستعربين اقتبسوا عادات الفاتحين وتقاليدهم الاجتماعية التي كانت ، كما يرى رجال الدين المتعصبون لا تتلاءم مع العقيدة المسيحية ، مثل الختان ، واتخاذ الجواري ، والمصاهرة مع المسلمين والحقيقة ان اطلاق اسم المستعربين على هؤلاء يدل دلالة قاطعة على مدى الميول والاتجاهات نحو الثقافة العربية التي كانت تتغلغل في نفوس هذه الطبقة من المجتمع الاندلسي فأهملوا دراسة اللغة اللاتينية التي هي لغة الديانة المسيحية ، وانصرفوا عن قراءة المصنفات الدينية المكتوبة بها ، فأدى هذا بالتدريج الى ذوبان الحضارة المسيحية اللاتينية ولقد بلغت اللغة اللاتينية في بعض اجزاء اسبانيا درجة كبيرة من الانحطاط ، حتى بات من الضروري ان تترجم قوانين الكنيسة الاسبانية القديمة والانجيل الى اللغة العربية ليسهل استعمالها على المسيحيين افزعت هذه الحالة غلاة المتعصبين من رجال الدين ، وبدا لهم مستقبل الكنيسة مخيفاً لإعراض ابنائهم عن الثقافة المسيحية والاتجاه نحو الاستعراب . وعندما لم يفلحوا في وقف هذا التيار ، حاولوا افتعال ازمة مع الحكم العربي المتسامح ، وذلك باظهار الاستخفاف بالإسلام وسب نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، والتقول عليه بالباطل الى حد الشطط ، استفزازاً لمشاعر المسلمين وانتهاكاً لحرمة ديانتهم جهراً وبغير سبب . وكانوا بهذا يرمون الى خلق جو من التوتر والشعور بالاضطهاد لإن الشرع الاسلامي يعاقب على هذه الجريمة بالموت . ومن ثم يبدو للمسيحيين بأن المسلمين يقتلون اخوانهم ويضطهدونهم ، وهكذا يمكن استعادة من اسلم من هؤلاء او حملهم على عدم التعاطف والتعاون مع المسلمين . ولقد تزعم هذه الفتنة المتطرفة وحرض عليها بعض الغلاة من امثال ايلوخيو، والفارو وذلك في اواخر عهد الامير عبد الرحمن الثاني فكانا يدعوان النصارى الى سب

الرسول (ص) والطعن في الاسلام علناً، واقتحام المساجد والاعتداء على المسلمين والتقليل من شأن دينهم . وعلى الرغم من ان عددهؤلاء المتعصبين الانتحاريين لم يكن يزيد في مجموعه عن اربعين شخصاً ،ولكن حكومة قرطبة خشيت سوء عاقبة هذه الحوادث ، واثرها على شعور عامة المسلمين . فلم تجد مناصاً من تطبيق الشرائع والقوانين بمعاقبة هؤلاء بالموت ، لان عدم معاقبتهم قد يؤدي الى استخفاف الناس ، وقلة اكتراثهم بسلطة الدولة ودينها الرسمي ، وذيوع حركة التمرد بين عدد اكبر من المتطرفين . ومع هذا ، فلم يشأ الامير عبد الرحمن ان يلجأ الى وسائل متطرفة للقضاء على الحركة ، ولم ينتقم من جموع المستعربين ، بل اكتفى بالاحكام القضائية التى كان يصدرها القضاة على من يثبت عليه القيام متعمداً بسب الاسلام والنيل من نبيه الكريم . وظلت هذه الموجه من الغلو مستمرة في قرطبة ، حتى ضج منها المسيحيون المعتدلون واظهروا استيائهم من الاستشهاد الذي كان يطلبه المتطرفون . والذي هو في حقيقة الحال نوع من الانتحار الذي حرمه الدين المسيحي . وقد عقد في عام (٢٣٧هـ/٨٥٢ م) مجمع ديني في قرطبة يضم كل اساقفة الاندلس برئاسة مطران اشبيلية ومثل الامير عبد الرحمن فيه احد المستعربين المسيحيين ، وهو غوميز بن انطونيان الذي كان كاتباً عند الامير . فعرض غوميز حالة المنتحرين على المجمع ونتائجها السلبية على كل المستعربين في البلاد . وقد وافق جميع اعضاء المجمع – بأ ستثناء اسقف قرطبة الذي لزم جانب المتطرفين – على اصدار قرار استنكروا فيه الفتنة الدينية التي جاءت نتيجة الاستعراب ، استمرت بقية عهد الامير عبدالرحمن الثاني ، وام تنتهِي الا في بداية حكم ابنه الامير محمد اذاعدم ايلوخيو المحرض عليها في عام ٢٤٥هـ /٧٥٩ م .